

الديناميكيات الجيوسياسية والاقتصادية للصراع في الشرق الأوسط:

تحليل نقدي للأبعاد الاستراتيجية للحرب بين الولايات المتحدة وإسرائيل وحلفائهما وإيران

د. محمد بورباب

رئيس الهيئة العالمية لعلماء الاعجاز

رئيس هيئة الاعجاز في القرآن والسنة بالمملكة المغربية

رئيس المؤتمر الدولي لمدينة تطوان - المغرب

شكل سقوط جدار برلين **Fall of the Berlin Wall** ثم تفكك الاتحاد السوفياتي **Dissolution of the Soviet Union** نقطة تحول كبرى في بنية النظام الدولي المعاصر، إذ انتقلت العلاقات الدولية من ثنائية قطبية حكمت العالم طوال الحرب الباردة إلى لحظة أحادية قطبية قادتها **United States** بوصفها القوة المهيمنة عسكرياً ومالياً وتقنياً. وفي ظل هذا التحول، برزت أطروحات فكرية وسياسية تحدثت عن "نهاية التاريخ" وانتصار النموذج الليبرالي الغربي باعتباره الأفق النهائي للتنظيم السياسي والاقتصادي العالمي. غير أن العقود اللاحقة أظهرت أن ما بدا انتصاراً نهائياً لم يكن سوى مرحلة انتقالية مؤقتة، سرعان ما كشفت تناقضاتها البنوية وحدود قدرتها على إنتاج الاستقرار الدولي.

خلال تسعينيات القرن العشرين، استثمرت واشنطن غياب المنافس السوفياتي لإعادة تشكيل المجال الجيوسياسي العالمي، خصوصاً في مناطق الثروة النفطية والممرات البحرية الحيوية. فجاءت حرب الخليج **Gulf War** لتؤكد مركزية الخليج العربي في الاستراتيجية الأمريكية، ثم تبعها تدخلات عسكرية وسياسية في البلقان، وآسيا الوسطى، والشرق الأوسط. ومع مطلع الألفية الثالثة، شكّلت هجمات ال 11 من شتنبر **September 11 attacks** ذريعة لإطلاق ما سُمي بـ "الحرب على الإرهاب"، والتي تُرجمت إلى غزو أفغانستان **Afghanistan** سنة 2001 ثم غزو العراق **Iraq** سنة 2003، بما كرّس منطق التدخل العسكري المباشر بوصفه أداة لإدارة النظام الدولي. إلا أن هذه الحروب، بدل أن تؤسس لقرن أمريكي جديد، أدت إلى استنزاف اقتصادي هائل، وتآكل الشرعية الأخلاقية للمهيمنة الغربية، وفتح المجال أمام صعود قوى دولية وإقليمية منافسة.

في الوقت ذاته، شهد العالم تحولات هيكلية عميقة تمثلت في الصعود المتسارع للصين **China** كقوة اقتصادية وصناعية وتكنولوجية كبرى، وعودة روسيا **Russia** إلى المجال الاستراتيجي الدولي، إضافة

إلى تنامي أدوار قوى إقليمية مثل إيران **Iran** وتركيا **Turkey** و **India**. الهند وهكذا بدأ النظام الأحادي القطبية يفقد تماسكه تدريجياً، لتظهر ملامح انتقال نحو تعددية قطبية مضطربة، تتداخل فيها المنافسة الاقتصادية بالحروب بالوكالة، والصراع على الطاقة بالنزاعات النقدية والتكنولوجية.

ضمن هذا السياق التاريخي، احتل الشرق الأوسط موقع القلب في معادلات التحول الدولي، نظراً لاحتضانه أكبر احتياطات الطاقة العالمية، وتحكمه في ممرات استراتيجية حاسمة مثل مضيق هرمز **Strait of Hormuz** وقناة السويس **Suez Canal** و **Bab el-Mandeb**. باب المندب ومن ثم لم تعد الصراعات الجارية في المنطقة مجرد نزاعات محلية أو مذهبية كما تقدمها بعض السرديات الإعلامية، بل أصبحت تعبيراً مكثفاً عن أزمة النظام الدولي ذاته، وعن الصراع على من يملك القدرة على التحكم في التجارة العالمية، وتسعير الطاقة، وإعادة تشكيل موازين القوة في القرن الحادي والعشرين.

يشهد النظام الدولي، ومنطقة الشرق الأوسط تحديداً، تصعيداً غير مسبوق في دائرة الصراع المسلح بين الولايات المتحدة الأمريكية **United States** وإسرائيل **Israel** وحلفائهما الإقليميين من جهة، و **Iran** إيران من جهة أخرى. وفي حين يتبنى الخطاب السياسي الغربي مبررات أيديولوجية تتعلق بنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، تتكشف تدريجياً أبعاد استراتيجية واقتصادية أكثر تعقيداً. فلا يمكن فهم هذا النزاع بمعزل عن سياقه العالمي، خاصة في ظل صعود قوى جديدة كالصين **China**، ومحاولات تقويض الهيمنة الأمريكية التقليدية، مما يطرح تساؤلات جوهرية حول طبيعة هذا الصراع، ومصير النظام المالي العالمي، ومدى التزام السياسات الأمريكية بالمصلحة القومية لشعبها وحلفائها.

من هذا المنطلق، تهدف هذه الدراسة إلى تفكيك السردية الرسمية السائدة، وإعادة قراءة الحرب الراهنة بوصفها حلقة ضمن مسار تاريخي بدأ منذ نهاية الحرب الباردة، حيث انتقلت الهيمنة الأمريكية من ذروة التفوق إلى مرحلة التآكل النسبي. كما تسعى إلى بيان أن المواجهة الحالية ليست مجرد نزاع إقليمي محدود، بل تجسيد لتحول عميق من نظام أحادي القطبية إلى نظام دولي متعدد الأقطاب، تتشابك داخله رهانات البترودولار، وأمن الطاقة، والصراع التكنولوجي، ونفوذ اللوبيات، وأسئلة الشرعية الأخلاقية والحضارية في إدارة القوة على المستوى العالمي.

أولاً: تفكيك الخطاب الأيديولوجي وتجريد الصراع من مبرراته الأخلاقية

يُلاحظ أن الخطاب السياسي الغربي يسعى لتبرير التدخلات العسكرية عبر إعادة إنتاج سرديات استشراقية قديمة تحت شعار "تحرير الشعوب المقموعة". يتم تقديم الحرب كعملية إنفاذية تعتمد على أحدث التقنيات العسكرية لـ "تحرير" المجتمعات، في تجريد تام للواقع ومفارقة أخلاقية واضحة تحول القتل إلى عملية "ديمقراطية". يعكس هذا الخطاب تحولاً في طبيعة الحروب المعاصرة، حيث أصبحت أقل ارتباطاً بالقيم الإنسانية (ظاهرة نزع الإنسنة أو Dehumanization) وأكثر خضوعاً لمنطق القوة، مستغلة الاختلافات الثقافية كستار أخلاقي لإعادة تشكيل المنطقة وفق أجندات المراكز الرأسمالية.

ثانياً: الاقتصاد السياسي للصراع: البترودولار كعمود فقري للهيمنة

يمثل "البترودولار" (تسعير النفط عالمياً بالدولار حصرياً منذ عام ١٩٧٤) المحرك الخفي والأكثر تأثيراً في الصراع. هذا النظام يخلق طلباً اصطناعياً ومستمرّاً على العملة الأمريكية، مما يمنح واشنطن قدرة استثنائية على تمويل عجزها وعجزها الذي تجاوز ٣٨ تريليون دولار. لذا، يُعتبر أي تهديد لهذا النظام تهديداً وجودياً للهيمنة الاقتصادية الأمريكية. يؤكد التاريخ المعاصر هذه الفرضية؛ فغزو العراق (٢٠٠٣) تلا قراره تحويل تسعير النفط إلى اليورو، وتدمير ليبيا (٢٠١١) أعقب مشروعها لإنشاء عملة أفريقية بديلة، وتم الحصار على فنزويلا وسوريا لأسباب مماثلة. تمثل إيران الحلقة الأخطر في هذه السلسلة، لكونها تسعى لكسر احتكار الدولار وتأسيس نظام مالي بديل بالتعاون مع روسيا والصين، مما يجعل إضعافها هدفاً استراتيجياً أمريكياً للدفاع عن الإمبراطورية المالية للدولار.

ثالثاً: البعد الجيوسياسي: الاستهداف الاستراتيجي للصين وقطع مسارات الطاقة

يكشف التحليل الجيوسياسي أن المواجهة مع إيران ليست هدفاً بحد ذاتها، بل هي جزء من استراتيجية أوسع لاحتواء الصعود الصيني. إذ تمثل إيران حلقة محورية في شبكة الطاقة التي تغذي الاقتصاد الصيني؛ لذلك يؤدي الإمساك بها أو إغلاق مضيق هرمز إلى قطع الإمدادات الحيوية لبكين. بالتوازي مع ذلك، تسعى الولايات المتحدة للسيطرة على الممرات المائية الحيوية الأخرى (قناة السويس، بنما،

جرينلاندا) لقطع أقصر الطرق البحرية التي تربط آسيا بأوروبا، في إطار استراتيجية عزل القوى الصاعدة وحرمانها من مقومات النمو الاقتصادي.

رابعاً: مفارقات صناعة القرار الأمريكي

اللوبيات مقابل رأس المال العالمي، يكشف الواقع السياسي الأمريكي عن أزمة هيكلية في صناعة القرار، حيث يتداخل دور الفاعلين غير الدوليين بتعقيد:

١. **هيمنة اللوبي الصهيوني**: يتغلغل اللوبي الإسرائيلي (مثل AIPAC) في مفاصل صناعة القرار عبر آليات التمويل السياسي، مما يفسر التطابق التام بين المطالب الأمريكية الموجهة لإيران (وقف التخصيب، تفكيك الصواريخ) والأجندة الأمنية الإسرائيلية، متجاهلاً أحياناً المصالح القومية الأمريكية، وصولاً إلى تهميش دور الرئاسة لصالح أجنادات خارجية.

٢. **تداخل رأس المال العالمي (BlackRock)**: على النقيض من الدفع نحو الحرب، تمارس شركات الاستثمار الكبرى (مثل BlackRock) ضغوطاً لفرض سقف على التصعيد. فاستمرار الحرب وإغلاق الممرات المائية سيرفع أسعار النفط بشكل حاد، مما يؤدي إلى ركود عالمي يضر بالمحافظ الاستثمارية العالمية المشتركة. هذا يبرز أن القرار الأمريكي محكوم بمعادلة صراعية بين "الدولة العميقة" السياسية والعسكرية، و"رأس المال" المالي العالمي.

خامساً: الصدمة التكنولوجية وتآكل مفاعيل القوة الأمريكية في المنطقة

مع هذا الارتباك الاستراتيجي يتضافر بُعدٌ تقني وعسكري حاسم يفسر حدود القوة الأمريكية وانحسار هيمنتها الميدانية. يتمثل هذا البعد في تحول جذري في موازين القوى لصالح ما يُعرف استراتيجياً بـ "مناطق إنكار الوصول والحرمان" (A2/AD). يعكس هذا التحول تزايداً ملموساً في تكامل القدرات التكنولوجية بين إيران وحلفائها الجيوسياسيين (كالصين وروسيا)، حيث أدى اندماج منظومات الدفاع الساحلي المتطورة مع تقنيات الذكاء الاصطناعي (كمنطق "القطيع الذكي" في توجيه الصواريخ)، والرادارات ذات المسح الإلكتروني النشط عالية التردد، إلى تقويض فعالية منظومات الدفاع الجوي والهيمنة الجوية التقليدية الأمريكية (كطائرات F-35). وتوسع دائرة هذا الردع غير المتماثل لتشمل الحرب الاقتصادية التكنولوجية؛ إذ يمثل احتكار الصين لسلاسل توريد المعادن النادرة (كالنيوديميوم

والليثيوم) عقدة مؤثرة تهدد سلاسل التصنيع العسكري الأمريكية. هذه المتغيرات التقنية مجتمعة تجعل الأصول العسكرية التقليدية الضخمة (كحاملات الطائرات) غير ذات جدوى استراتيجية في بيئات قتالية حديثة، مما يحتم على الإدارات الأمريكية إعادة تقييم خياراتها بين المغامرة العسكرية المحفوفة بخسائر فادحة، والتراجع الاستراتيجي الذي يعكس نهاية فعلياً لعصر الهيمنة التقنية الأحادية".

سادساً: التحولات الاستراتيجية إقليمياً: إعادة حسابات الخليج و"القوة السلبية" أفرزت الحرب تداعيات ميدانية عكست التراجع الأمريكي على مستويين:

١. التفكك الاستراتيجي الخليجي: كشفت الحرب عن عجز أمريكي صادم في حماية الحلفاء؛ ففشل صد الصواريخ الإيرانية، وعجز قوات التحالف عن وقف هجمات الحوثيين التي شلت حركة قناة السويس، غيراً المعادلات. بدأت دول الخليج في إعادة تقييم علاقاتها الاستراتيجية مع واشنطن، والتفكير جدياً في الاستقلال بالقرار بعيداً عن الوصاية الأمريكية، مدفوعة بحجم استثماراتها السيادية الضخمة وحاجتها للاستقرار.

٢. القوة السلبية والنتيجة العكسية (الدرس الصربي): تتميز القدرة الأمريكية الحالية بأنها "قوة سلبية" قائمة على التدمير وفقدان القدرة على "صنع الحلول". غير أن التدمير الممنهج يصطدم بالواقع التاريخي؛ فالتجربة الصربية (١٩٩٩) أثبتت أن القصف لا يسقط الأنظمة بل يصنع الوحدة الوطنية. في الحالة الإيرانية، أدى القصف الخارجي إلى تقليص الانقسامات الداخلية وتحويل الشباب الإيراني المحتمل ثائراً إلى مدافع عن وطنه، مما يمثل خطأً استراتيجياً في حسابات القوى المهاجمة.

الخلاصة ونتائج البحث

خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج الجوهرية التي تفسر طبيعة الصراع الراهن:

١. تعدد الأبعاد: الصراع الحالي يتجاوز الجانب العسكري المباشر ليكون صراعاً على النظام النقدي العالمي (البترو دولار) وطرق التجارة والطاقة.

٢ . الارتباك الاستراتيجي : تمتلك الولايات المتحدة قدرة مطلقة على التدمير، لكنها فقدت القدرة على فرض الهيمنة الميدانية أو حماية حلفائها، مما يعكس أزمة بنيوية في نموذج الهيمنة التقليدية .

٣ . اختراق الشرعية : يكشف التطابق بين سياسات الكونغرس والمصالح الإسرائيلية عن أزمة ديمقراطية داخلية، حيث تُمرر سياسات تتعارض مع المصلحة القومية بفعل ضغوط اللوبيات .

٤ . تسريع التحول نحو التعددية القطبية : بدلاً من أن تُخضع الحرب المنطقة، هيأت لانقلاب في موازين القوى؛ حيث باتت دول الخليج تفكر في الاستقلال الاستراتيجي، واتسعت دائرة الوعي الشعبي العالمي بحقيقة "اللعبة الكبرى"، مما يسرع من عملية التحول من نظام أحادي القطبية إلى نظام دولي متعدد الأقطاب .

٥ . "البعد الأخلاقي والحضاري : تفكك نموذج الحرب الشاملة مقابل السلوك الحربي الإسلامي" / البديل الحضاري بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتراجع النموذج الغربي الحضاري .

يمكن تأطير هذه الأزمة الهيكلية للقوة الأمريكية ضمن أزمة أعمق تتعلق بـ "الفلسفة الحربية" للنموذج الغربي الحديث، الذي ارتكز تاريخياً على مبدأ الحرب الشاملة (Total War) وتطوير قدرات الإبادة الجماعية غير المميزة، كما تجلّى في استخدام أسلحة الدمار الشامل منذ هيروشيما، مروراً بالحروب الاستعمارية، وصولاً إلى التدمير المنهج للبنى التحتية والمدنيين في الصراعات المعاصرة . وفي المقابل، يبرز التميز الحضاري للنموذج الإسلامي في تقديم سابقة تاريخية وقانونية لما يُعرف اليوم بـ "قوانين الحرب الإنسانية الدولية" . فرغم أن الحضارة الإسلامية طوّرت تقنيات عسكرية متقدمة في عصرها (كالدفاع والآلات الحصارية والبارود)، إلا أن العقلية الفقهية الإسلامية فرمت سقفاً أخلاقياً صارماً للصراع، مبنياً على مبدأ التمييز الدقيق بين المقاتل والمدني، وتحريم استهداف النساء والأطفال والرجال غير المقاتلين، ومنع الإفساد في الأرض (تدمير البيئة والبنية التحتية)، وتحريم أساليب الغدر والتمثيل . هذا الفصل الإسلامي الراسخ بين "القوة العسكرية التكتيكية" و"الإبادة الوجودية"، جعل من "السلام" أصلاً في العلاقات الدولية، ويقف اليوم كمرجعية أخلاقية وحضارية ناقدة، تكشف عن الفراغ القيمي الذي تعاني منه الاستراتيجيات الغربية المعاصرة التي تسعى لتحقيق الهيمنة عبر التدمير المطلق، ليتأكد أن

انهيار أحادية القطب ليس مجرد تحول في موازين القوى المادية، بل هو بداية لتفكك نموذج حضاري فقد شرعيته الأخلاقية.

وتظل الحرب الدائرة تجسيدا لأزمة هيكلية في النظام الدولي، حيث تؤكد الوقائع أن القوة المبنية على التدمير المطلق لا تصنع استقراراً، بل تُسارع بهدم أحادية القطب. إن هذا الانهيار المتسارع للهيمنة الأمريكية لا يقتصر على تراجع التفوق المادي أو التقني، بل يمتد ليفضح أزمة حضارية عميقة في النموذج الغربي القائم على منطق "الحرب الشاملة" والإبادة غير المميزة، في تناقض صارخ مع المرجعية الإسلامية التي شكلت سابقة تاريخية فريدة تضبط النزاع المسلح بقيود أخلاقية وفقهية صارمة تحرم استهداف المدنيين وتدمير البنية التحتية. ومع انهيار **illusions** "نهاية التاريخ" التي راهنت عليها واشنطن بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، واتضح عجز النموذج الغربي عن تقديم استقرار حقيقي للعالم، تتبلور ضرورة موضوعية لبروز "بديل حضاري" جديد؛ بديل لا يقتصر على إعادة توزيع موازين القوى اقتصادياً وعسكرياً نحو نظام متعدد الأقطاب، بل يستند جوهرياً إلى استعادة الشرعية الأخلاقية في إدارة الصراع الدولي، بعيداً عن منطق الهيمنة والاستنزاف، وهو المشروع الذي يقدمه الإسلام، وقدمه بامتياز في تجربته التاريخية.

المراجع

أولاً: العلاقات الأمريكية-الإيرانية

1. Ray Takeyh. (2011). Iran's nuclear calculations. *World Policy Journal*, 28(2), 25–33. https://doi.org/10.1162/WPJL_a_00063
2. Vali Nasr. (2013). The unraveling of the Middle East. *Foreign Affairs*, 92(2), 105–113." (DOI بدون)
3. Trita Parsi. (2007). *Treacherous alliance: The secret dealings of Israel, Iran, and the United States*. Yale University Press." (DOI كتاب، بدون)
4. Kenneth Pollack. (2004). *The Persian puzzle: The conflict between Iran and America*. Random House.
5. Flynt Leverett., & Hillary Mann Leverett. (2013). *Going to Tehran*. Metropolitan Books.

ثانياً: إسرائيل وإيران والحرب غير المباشرة

6. Trita Parsi. (2017). *Losing an enemy: Obama, Iran, and the triumph of diplomacy*. Yale University Press.

7. RAND Corporation. (2019). *Iran's strategic intentions and capabilities*. <https://www.rand.org>
8. Center for Strategic and International Studies. (2022). *Israel and Iran shadow war assessment*. <https://www.csis.org>
9. International Institute for Strategic Studies. (2021). *Missile and drone warfare in the Gulf*. <https://www.iiss.org>
10. Brookings Institution. (2020). *Iran-Israel regional confrontation*. <https://www.brookings.edu>

ثالثاً: الجغرافيا السياسية للطاقة والبترو دولار

11. International Monetary Fund. (2024). *Global Financial Stability Report*. <https://www.imf.org>
12. World Bank. (2023). *Commodity markets outlook*. <https://www.worldbank.org>
13. International Energy Agency. (2024). *World Energy Outlook*. <https://www.iea.org>
14. David Spiro. (1999). *The hidden hand of American hegemony: Petrodollar recycling*. Cornell University Press.
15. Michael Hudson. (2003). *Super imperialism revisited*. Pluto Press.

رابعاً: المضائق البحرية والممرات الاستراتيجية

16. U.S. Energy Information Administration. (2024). *World oil transit chokepoints*. <https://www.eia.gov>
17. Chatham House. (2022). *Strait of Hormuz and global trade risk*. <https://www.chathamhouse.org>
18. Carnegie Endowment for International Peace. (2021). *Maritime security in the Gulf*. <https://carnegieendowment.org>
19. NATO. (2023). *Maritime strategic corridors report*. <https://www.nato.int>
20. Council on Foreign Relations. (2022). *Oil chokepoints and strategic competition*. <https://www.cfr.org>

خامساً: اللوبيات والقرار الأمريكي

21. John Mearsheimer., & Stephen Walt. (2007). *The Israel lobby and U.S. foreign policy*. Farrar, Straus and Giroux.
22. AIPAC. (عدة سنوات). Policy reports. <https://www.aipac.org>
23. OpenSecrets. (2024). Lobbying and campaign finance data. <https://www.opensecrets.org>
24. Congressional Research Service. (2023). *U.S.-Israel relations*. <https://crsreports.congress.gov>

سادساً: الحروب الحديثة والإعلام

25. Human Rights Watch. (2024). Civilian harm reports. <https://www.hrw.org>
26. Amnesty International. (2024). Conflict documentation reports. <https://www.amnesty.org>

27. Judith Butler. (2009). Frames of war: When is life grievable? Verso.

28. Noam Chomsky. (2002). Media control. Seven Stories Press.

سابعاً: الصين وروسيا وتوازن القوى

29. John Mearsheimer. (2001). The tragedy of great power politics. Norton.

30. Graham Allison. (2017). Destined for war: Can America and China escape Thucydides's trap? Houghton Mifflin.

مصادر يومية

1. Reuters
2. Associated Press
3. Financial Times
4. The Economist!